



في عام 1982 اتجهت أنظار العالم كله، إلى تلك المدينة الحالمة على ضفاف نهر العاصي الذي يشطرها شطرين، تحفهما الحضرة والجمال.. هذه المدينة التي كانت تغفو على أنين نواعيرها الخشبية، مستسلمة لأحلامها، خلعت رداء الدعة والسكون، وألقت جانبًا بأمنياتها الوردية، لثور ثوراتها التي تتبع في العصر الحديث، منذ الاحتلال الأجنبي عام 1920، إلى هذه الساعات الفاصلة، كما كان دأبها عبر تاريخها الطويل.

تقع مدينة حماة وسط سوريا، وتبعد عن مدينة دمشق 210 كم، وعن حلب 135 كم، وعن حمص 47 كم، وعن بانياس 97 كم، يمر فيها نهر العاصي الذي ينبع من سفوح جبال لبنان، وتحيط بالمدينة سلسلة من التلال المرتفعة في الشرق والشمال والجنوب، وتقوم في وسط المدينة قلعتها التاريخية، وحمة مدينة أثرية، يعتبرها بعض علماء الآثار من أقدم المدن في العالم، فيها الكثير من المساجد، والكنائس، والقصور، والحمامات، والزوايا والتکایا للعبد والزهد، والخانات، والأسواق المنسقوفة والمكتبات، والتوايير، حتى أن المدينة اشتهرت بمدينة التوايير، وحمة مدينة يعيش أهلها على الزراعة والتجارة والصناعة التي طورتها في العصر الحديث.

حمة في العصر الحديث:

استهلت حماة تاريخها الحديث بثورات وانتفاضات شعبية متالية ضد الاستعمار الفرنسي، وكان لها مواقف رائعة في البطولة، والتضحية، وتقديم مواكب الشهداء من فلذات كبدها على مدى ربع قرن من الزمان، لاسيما دورها في الثورة السورية الكبرى 1925 م التي قامت في جبل العرب وغوطة دمشق، وكان نصيب حماة أن قصفت بالطائرات، وكانت قمة عطائها في معارك الجلاء عام 1945 م حين أوسعها الفرنسيون ضرباً وعدواناً، ثم كان استقلال القطر العربي السوري عام 1946 م بداية فعلية لعهد جديد من الكفاح الشعبي من أجل الحرية والانعتاق من إسار التركية الاستعمارية، ليكون استقلالاً حقاً بعيداً عن كل ألوان التبعية الفكرية والروحية، والاقتصادية والسياسية، وظل هذا الكفاح في تصاعد، إلى أن انتهى إلى قمة الصراع مع نظام الطاغية حافظ أسد، ذلك السفاح الذي أمر بإحرقها وتدميرها على رؤوس ساكنيها، كما فعل بها من قبل الطاغية الفارسي قورش، والطاغية هولاكو، ولكن ما فعله بها السفاح أسد فاق ما فعله الطاغيتان: قورش وهولاكو أضعافاً مضاعفة، بما أنزله بها من دمار وخراب وتمثيل حاقد بالأحياء والأموات شيوخاً وأطفالاً ونساء، من المواطنين ومن الموالين له من الحزبيين المنتفعين.

قاومت حماة الاستعمار الفرنسي مقاومة عنيفة بقيادة علماء أجلاء، ووطنيين مخلصين، من أمثال فوزي القاوقجي، وسعيد العاص، والدكتور صالح قنباز عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي قتله الفرنسيون، وعندما غزا الصهاينة فلسطين، وأرادوا أن يقيموا دولة لهم على أرضها، هبّ أبناء حماة بقيادة القاوقجي للدفاع عن عروبتها وإسلامها، ملبيين نداء الجهاد المقدس لصد الغزوة المعتمدين، وبعد انقلاب آذار عام 1963م استطاع الطائفيون التسلل إلى الجيش السوري، وإلى مراكز القوة في الوزارات والمؤسسات، وتمكنوا من ضرب القوى الوطنية كافة، وأخرجوها من الساحة السياسية وسلبوها كل قوة مؤثرة لها في الجيش، وقد أدرك أولئك الطائفيون خطورة مدينة حماة، واعتبروها قلعة منيعة تقف في مواجهتهم بما لها من ماضٍ جهادي، وبما يتميز به أهلوها من غيرة على الدين وتشبث بالقيم، واندفاع في القتال ضد كل من تسول له نفسه المساس بالحرمات، فقرروا تدميرها مهما كلفهم هذا التدمير من ثمن، فرسموا مخططاً خبيثاً لإبادتها، وإبادة شعبها الحر المكافح، وإبادة أي مدينة تنهض لمساعدتها...، وذلك عن طريق الاستفزازات والتحرشات، ففي عام 1964م دفع الطائفيون عناصرهم، وطلبوها منهم تنفيذ مخططهم اللئيم، فتصرفوا تصرفات استفزازية تحدوا بها مشاعر أبناء المدينة، أدت إلى صدامات دموية، أودت بحياة العشرات من طلاب المدارس، واعتقلا المئات، وضرب جامع السلطان، وهدمت مئذنته وكانت فتنة كبيرة، كان مقدراً لها تدمير المدينة على أيدي الطائفيين، لو لا تدخل علاء المدينة وعلى رأسهم الشيخ محمد الحامد - رحمة الله تعالى - للكف عن ضرب المدينة، وإطلاق سراح المعتقلين...، ومن خلال هذه الأحداث الدموية، تبدلت نيات الطائفيين الذين لم يستطيعوا كتم عدائهم الشديد، وأحقادهم الدفينة على مدينة حماة وأبنائها.

حماة.. في عهد حافظ أسد:

اغتصب حافظ أسد السلطة بانقلاب عسكري في تشرين الثاني 1970م، واستولى على كافة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وأجرى استفتاءً صورياً وعين مجلساً للشعب، وقدم لهذا المجلس دستوراً مفصلاً على مقاسه، أبقى فيه السلطات الثلاث بيده، وصار حافظ رئيساً للجمهورية، يعين رئيس الوزراء والوزراء ويقيلهم، وفي الوقت نفسه هو رئيس مجلس القضاء الأعلى، وصارت وسائل الإعلام من صحفة وإذاعة وتلفاز حكراً لزمرة أسد وصنائعه، وأبعد عنها الأكفاء، ما دام ولازهم لنظام أسد غير مضمون، فترتدى إلى الحضيض، ولم يبق أمام رجال الفكر والمثقفين مجال لطرح أفكارهم، وترشيد السير، وفضح الممارسات الخاطئة من قبل الأجهزة القمعية والجيوش الطفالية من أمثل: "الوحدات الخاصة، وسرابا الدفاع، وسرابا الصراع، والمليشيات المسلحة التي أطلقوا عليها الكتائب العمالية والكتائب الطلابية، وفتیان علي، وفتیات علي، والفرسان الحمر، وفرق المظلبات، وجمعية الإمام المرتضى، والآلاف المؤلفة من عناصر المخابرات وعملائهم من المخبرين.. لم يبق لرجال الفكر وعلماء الدين من مكان يطلقون منه صوت النذير سوى دور العبادة والندوات لدى نقابات المهن العلمية، كنقابات المحامين والمهندسين وأطباء الأسنان والصيادلة، والمهندسين الزراعيين، والأطباء، وقد أجمع المثقفون ورجال الفكر والسياسة والقانون على المطالب التالية:

- 1- رفع حالة الطوارئ، وإلغاء المحاكم العرفية الاستثنائية.
- 2- إعادة جميع صلاحيات التقاضي إلى القضاء المدني.
- 3- استقلال السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.
- 4- احترام مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فعلاً وممارسةً وعدم الاكتفاء بالقول، واعتبار كل نص تشريعي مخالف لمبادئه ملغى ولو توافرت فيه الشروط الشكلية.
- 5- إجراء انتخابات حرة يختار الشعب بها رجال السلطة التشريعية، وصارت منابر دور العبادة والندوات العلمية لدى نقابات المهن العلمية، مراكز للإعلام ومجالاً لطرح الأفكار للمطالبة بالإصلاح، ولنقد الممارسات الخاطئة واللإنسانية، وتم

الاتفاق بين كافة قطاعات الشعب على إعلان الإضراب العام يوم 31/3/1980 تأييداً لهذه المطالب، فأضررت النقابات، وأغلقت الأسواق، وتوقفت الحركة في المدن والأرياف، وطبعت عشرات الآلاف من النشرات، تبين المطالب المتفق عليها، وزوّجت في أنحاء القطر، وخرجت المظاهرات الشعبية الصادقة، في مختلف المدن والقرى تضامناً مع هذه المطالب.

جرائم النظام السوري:

أسقط في أيدي الحفنة المتحكمة بمقدرات البلاد، ولم يعد أمامها سوى هذين الخيارين: القبول بمطالب الشعب -وهذا يفقد مرتبة النظام مكاسبهم غير المشروعة- أو اللجوء إلى البطش بالشعب لإخماد هذه الروح التحررية التي سرت في صفوف الشعب، وبالطبع اختيار النظام القمعي ما يتلاءم وطبيعته اللاوطنية اللاأخلاقية اختيار الطريق الثاني، فبادر إلى حل النقابات العلمية، ومجالسها وفروعها، ومؤتمراتها العامة، واعتقل أعضاءها، كما اعتقل عدداً كبيراً من أساتذة الجامعات والمحامين والأطباء والصيادلة والمدرسين وعلماء الدين، وآلافاً من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية، وقتل المئات منهم، وألقى بجثثهم في الشوارع، من أمثال الدكتور الشهيد أدهم سفاف -الأستاذ بكلية الزراعة في جامعة حلب-. والمربي الأستاذ الشهيد عبد القادر خطيب -مدرس الرياضيات في ثانويات حلب-. وأغلق عدداً كبيراً من دور العبادة ودمّر قسماً منها، وصار الجنود يدخلون المساجد بأحديثهم، يطلقون النار على المسلمين، ويمزقون المصاحف، ويتحدون مشاعر المسلمين.. وبدأ عهد مرير من الإرهاب دونه عهود محاكم التفتيش، وارتكب النظام الأسدية جرائم لا عهد لأبناء أمتنا بها أو يمثلها.. فلقد أقدم النظام على مجازر جماعية من أجل سحق المعارضة الشعبية التي تشكل أكثر من 90% من مجموع أبناء الشعب في قطاعاته وفئاته وأحزابه ونقاباته كلها، تمشيط المدن والقرى: ابتدع نظام حافظ أسد طريقة للإرهاب وهي الاعتداء على حرمة المساكن، واختطاف النساء والفتيات، والسطو على الأموال والممتلكات، وقتل الأزواج، والتّمثيل بهم، أمام الزوجات والأولاد.. أقدم النظام على هذه الجرائم تحت اسم "تمشيط المدن والقرى" إذ تقوم الحوامات والدبابات والقوى المحمولة بتطويق المدن والقرى التي يراد تمشيطها ويؤمر الناس بمنع التجول والمكوث في بيوتهم وتقسم المدينة إلى قطاعات تتولى كل قطاع مجموعة كبيرة من الجنود والوحدات الخاصة وسرايا الدفاع وعناصر المخابرات والكتائب الطائفية، ويستبيحون كل شيء في أثناء "المتشيط" يسرقون وينهبون ويدمرون ويعتدون على الناس، والحرمات وال المقدسات، ويقتلون كل من يرفع صوته محتاجاً على هذه الانتهاكات، زاعمين أنه من الإخوان المسلمين.. وكثيراً ما أبادوا أسرًا كاملة، وقطعوا أيدي النساء وأصابعهن من أجل الأسوار والخواتم الذهبية.. يسلّحون من يقتلون بالسيارات والدبابات أمام الناس لنشر الذعر والرعب والإرهاب في قلوب المواطنين ولم تكن تخلو مدينة أو قرية في القطر إلا وتعرضت للتّمشيط.. فحلب مثلاً مشطت مرتين، ومدينة حماة مشطت تسعة مرات، وهكذا سائر المدن والقرى.

أهم المجازر الجماعية:

ارتُكِبَ نظام حافظ أسد عدداً من المجازر الجماعية في طول البلاد وعرضها، نذكر فيما يلي أهمها:

1- مجرزة جسر الشغور:

قامت القوات الطائفية المسممة بالوحدات الخاصة التي يرأسها العميد الطائفي علي حيدر بتطويق مدينة جسر الشغور وقصفها بمدافع الهاون، ثم اجتاحتها في العاشر من آذار 1980، وأخرج من دورها 97 مواطناً بريئاً من الرجال والنساء والأطفال. وأمر عناصره بإطلاق النار عليهم، وقد شهد هذه المجزرة وشارك فيها المجرم توفيق صالح عضو القيادة القطرية لحزب أسد، كما أمر حيدر وصالحة بتدمير البيوت وإحراقها فدمروا ثلاثة منازل وأمراً بالتمثيل ببعض الجثث أمام الناس الذين حشروهم حشراً.. وممن مثلوا بجثته طفل أمراً بقتله أمام أمه والتّمثيل بجثته وشقها نصفين فماتت أمه على الفور من شناعة الحادث.

2- مجرزة قرية كنصفة:

تقع هذه القرية الوادعة في جبل الزاوية بمحافظة إدلب، وقد قدر لها أن تشهد جانباً من ظلم حافظ أسد وأعوانه في آذار عام 1980 يوم أن قدم إليها أمين سر فرع الحزب في محافظة إدلب، ومديراً التربية والتمويل فيها، إضافة إلى مسؤولين آخرين، وقد اجتمعوا في القرية مع بعض الحزبيين فيها، وفي نهاية الاجتماع حاول الأهالي البسطاء اغتنام الفرصة فعرضوا بعض مطالبهم الضرورية كالماء والكهرباء والمدارس، ولكن الزائرين المتغطرسين سخروا من المواطنين واستثاروهم، ثم أمروا عناصرهم المسلحة بإطلاق النار عليهم، فقتلوا مواطناً وجرحوا عشرة آخرين، ثلاثة منهم بجراح خطيرة، وما لبثوا بعد أيام أن أمروا بحملة اعتقالات واسعة بين المواطنين.

3- مجزرة سجن تدمر:

الجرائم التي ترتكبها السلطة الغاشمة في المعتقلات الأسدية عامة وفي سجن تدمر الصحراوي خاصة، أكثر وأكبر من أن تخيل وتدرك وتحصي، والتعتيم على ما يجري فيها، وطمس تلك الجرائم، جعلا نظام أسد يفضل قتل من فيها شنقاً ورمياً بالرصاص، على الإفراج عن معتقل واحد. يخرج ليروي للناس ما لقي هو وسائر المعتقلين من ألوان البلاء.. والأفراد النواذير الذين نجاهم الله من ظلم أسد، رروا من الواقع الرهيبة ما يفوق كل تصور. ولسنا الآن بصدد الحديث عن سجن تدمر تفصيلاً، ولكننا نريد التحدث عن المجزرة الكبرى التي اقترفها الطائفيون الآثمون يوم 27/6/1980 عندما أمر السفاح رفعت أسد -شقيق الطاغية حافظ أسد- عناصره من سرايا الدفاع بتنفيذها.. لقد كلف رفعت صهره الرائد الطائي معين ناصيف باقتحام سجن تدمر وقتل من فيه من المعتقلين.. ونفذ الطائفيون جريمتهم الشنيعة فقتلوا أكثر من ألف ومئة معتقل في زنزاناتهم(1).

4- مجزرة سوق الأحد بحلب:

بتاريخ 13/7/1980 هاجمت عشرون سيارة عسكرية محملة بالعناصر (سوق الأحد) المزدحم بالناس الفقراء البسطاء من عمال وفلاحين ونساء وأطفال، يؤمنون هذا السوق الشعبي الواقع في منطقة شعبية في مدينة حلب، من أجل ابتياع ما يحتاجون إليه من الباعة المتجولين على عرباتهم وبسطاطهم.. وأخذت تلك العناصر المسلحة تطلق النار عشوائياً على الناس، فسقط منهم 192 / مئة واثنان وتسعون قتيلاً وجريحاً.

5- مجزرة سردا:

كانت تعيش هذه القرية الأثرية المشهورة بعواميدتها الأثرية، حياة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من الأرض التي يكح أهلها الفلاحون بحراثتها وزرعها، وفي يوم 25/7/1980 طوقتها قوات (الوحدات الخاصة)، ثم داهمتها وفتحت بنسائها ورجالها الذين جمعت ثلاثين منهم في ساحة القرية، ثم أطلقت نيران الرشاشات على 15 ثم ربطت بعض شباب القرية بالسيارات والدبابات، وسحلتهم أمام الناس وتركت الجثث الأخرى في القرية.

6- مجزرة حي المشارقة بحلب:

في صبيحة عيد الفطر يوم 11/8/1980 وفيما كان الناس يتزاورون مهنيين بعضهم بعضاً بالعيد، وإذا المقدم الطائي هاشم معلا يأمر رجاله بتطويق حي المشارقة الشعبي، ويأمر بإخراج الرجال من بيوتهم، ثم يأمر بإطلاق النار عليهم، فقتل منهم 86 / ستة وثمانين مواطناً أكثرهم من الأطفال.

7- مجزرة بستان القصر في حلب:

في اليوم التالي لعيده الفطر وللمجزرة التي ارتكبها المجرم هاشم معلا في حي المشارقة، أي في 12/8/1980 جمعت قوة من العناصر الطائفية في الفرق المدرعة الثالثة التي احتلت حلب: جمعت خمسة وثلاثين مواطناً أخرجتهم من بيوتهم. وأطلقت عليهم النار فقتلتهم جميعاً.

8- مجزرة تدمر النسائية:

هذه المجازرة فريدة بين المجازر التي ارتكبها الطغاة عبر التاريخ ففي 19/12/1980 حفرت (بلدوارات) نظام أسد أخدوداً كبيراً. استاقت إليه مئة وعشرين امرأة. كانت سلطات أسد اعتقلهن كرهائن من أمهات الملاحقين وأخواتهم. وأودعتهن في سجن تدمر الصحراوي، ثم أطلقت عليهن النار، وهن على حافة الأخدود، فوقعن فيه مضرجات بدمائهن. ثم أهال المجرمون التراب عليهم. وبعضهن يعلو أنينهن. إذ لم يفارقن الحياة بعد.

9- من مجازر مدينة حماة:

كانت مدينة حماة -وما تزال- بحكم التكوين النفسي والديني والوطني والتاريخي لسكانها، الهاجس الذي أقلق رأسى النظام الأسدى: حافظ ورفعت. حتى بلغ الأمر بالسفاح رفعت أن يصرح أكثر من مرة، أنه سيجعل المؤرخين يكتبون: أنه كان في سوريا مدينة اسمها حماة.. وأنه سيبيد أهلها، لتكون عبرة لغيرها من المدن السورية. ومن هنا.. من رأسى النظام كان مصدر البلاء، وكانت الكوارث التي صبها الطائفيون على مدينة أبي الفداء، حتى فكروا بتغيير اسمها، **وفيما يلي أبرز المجازر التي أقدموا عليها:**

أـ المجازرة الأولى: تعرضت مدينة النوعير لأول مجذرة جماعية في نيسان 1980 عندما حوصلت من كل الجهات، وقطعت عن العالم الخارجي. وقطعت عنها المياه والكهرباء. وفتشت بيتاً بيتاً وقتل المجرمون عدداً من أعيان المدينة وشخصياتها. كما اعتقل المئات الذين لم يفرج عنهم حتى تاريخ هذا الكتاب.

بـ المجذرة الثانية: في 24/4/1980 طوقت المدينة بالدبابات وبقوات كبيرة من الوحدات الخاصة. مدعومة بمجموعات كبيرة من سرايا الدفاع وأعملوا بالمواطنين قتلاً وتعذيباً. فاستشهد من أبناء حماة ثلاثة وخمسة وثلاثون مواطناً أقيمت جثثهم في الشوارع والساحات العامة، ولم يسمح بدهفهم إلا بعد عدة أيام.

تحضير السلطة للمأساة الكبرى:

نماذج من ممارسات السلطة قبيل المجذرة لقد تضافرت الأدلة -داخلياً وخارجياً على نية النظام السوري تجاه مدينة حماة وأهلها، منذ سنوات.. فقرار حمامات الدم في سوريا كلها متخذ منذ عام 1980م، وأحداث نيسان عام 1981م، ولما استطاع أهل حماة ومجاهدوها أن يمنعوا السلطة من اجتياح المدينة، وجدت مخاوف من أن تنتقم السلطة في فرصة قادمة، ومحافظ حماة (خالد حربة) اعترف في خطابه بعميل البورسلان بعد المجذرة أنه هو الذي منع حدوثها قبل موعدها المقرر بستين، في يوم 11/تشرين الأول عام 1981م حضرت السلطة أجهزتها القمعية في حماة على اضطهاد أبناء المدينة لأي سبب، فتحركت فروع المخابرات والكتائب الحزبية المسلحة يعيثون في المدينة فساداً، وأرسلت بتاريخ 7/كانون الأول عام 1981م عدة آلاف من سرايا الدفاع لاضطهاد الشعب واعتقال آلاف المواطنين، من كل القطاعات، وعلى مختلف أعمارهم وثقافاتهم ومعتقداتهم الدينية. وكانت المدينة منذ 11/تشرين الأول عام 1981م تعيش أقسى أيامها بمناسبة تبديل البطاقات الشخصية، إذ نصبت السلطة حواجز ثابتةً وطيارة تفاجئ المواطنين للكشف عن هوياتهم وأمرتهم أن يسيروا رافعي الأيدي بالهويات أو أن يعلوها على الصدور، واتخذت ذلك ذريعةً لإهانة المسنين والنساء وما تبقى من الأطباء والمهندسين بالضرب والسباب. ولم يرعوا حرمة النساء اللواتي ينزع عنهن ستارهن أو يضربن بالعصي وأعقاب البنادق، ومن الأمثلة الشائعة تفتيش المواطن والمتسدّسات مسلطة على رأسه أو ضربه وشتمه إذا تشبهت كنيته بأحد الملاحقين، أو تطويق حي بأسره، وإخراج الناس لإذلالهم وامتهان كرامتهم، وذلك بإدارة وجوههم إلى الجدار رافعي الأيدي ساعات ثم اختيار أفرادٍ بعينهم لحلق نصف شعر الرأس لأحدهم، أو حلق أحد طرفي شارب الآخر، أو نتف لحيةشيخ مسن أو حرقها بقداحات الغاز، وقد طلب من أحد الرجال المسنين في (حي البارودية) - وهو يبلغ السبعين - أن يرقص بالقوة، فعاد إلى بيته ولم يخرج حتى مات كمداً بعد شهر، ومن أنواع الاضطهاد إرغام المارة على الاستلقاء أرضاً ورفع الأرجل في الهواء لتلقي وابل العصي والكريبيج، ثم الدحرجة على منحدر. أما إذا اتّهم أحد الناس باستقبال أحد الملاحقين، فإنّهم يمسكون المتهم من يديه

ورجلية، ويلوحون به في الهواء يقذفون به من سطح بيته إلى الشارع مهما كان الارتفاع، ويطلبون من آخرين في الساحة الرئيسة الركوع لحافظ أسد، ويرفض أحد المواطنين فتفقا عينه حتى يركع، ثم يرفض فيقتل، وإذا استجاب المواطنين تحت وطأة الحصار وتهديد السلاح للهاتف لحافظ أسد، ضحك ضباط الوحدات الخاصة وعناصر سرايا الدفاع مقهقحين قائلين: لقد أحب أهالي حماة حافظ أسد غصباً عنهم، وقد تعود أهل المدينة على تنبيه بعضهم قبل إحكام التطبيق على أحياهم بإطلاق النداءات وقرع الأبواب، تمهدأ للهرب والتواري، كما تعودوا أيام الجمع أن تتقد النساء رجالهن بعد صلاة الجمعة، لأن السلطة -من عادتها- أن تطوق مسجداً أو أكثر في كل جمعة، وتخرج المصلين في سياراتها العسكرية، لتنزع منهم الاعترافات تحت التعذيب الوحشي، حول المجاهدين والمواطنين المعارضين للسلطة، فيعود الرجال والكهول والفتىان مكسوري الخاطر، لا يستطيعون المشي على الأقدام المدمدة المتورمة، أحذيتهم بأيديهم، وأبصارهم منكسة إلى الأرض، فيهرع الأطفال يتلقون بالآباء ويجهشون بالبكاء، ويحمدون الله تعالى أن كان العدون على غير الأعراض، ولم يسلم المواطنون المسيحيون من الأضطهاد، فقد صوب أحد عناصر السلطة في القلعة سلاحه وضرب صليب كنيسة السيدة العذراء الكائنة في (حي المدينة) فكسره، كما تطاول عناصر السلطة على بنائهم فتحرشو بهن، كما دوهمت بيوتهم بحجة البحث عن السلاح والملحقين، وحرقوا مطران حماة بشكل بشع فهاجر إلى أمريكا، ومثلاً تحرشو ببنات المواطنين المسيحيين تحرشو ببنات المواطنين عامة في الطرقات وألزموا المارة بعدم التطلع إلى عناصر السلطة أو التحديق في سياراتهم، وبحجة هذه التهمة اعتدوا على المواطنين في الشوارع أو نقلوهم إلى المعتقلات، وبلغ الظلم والاستفزاز أوجهما حين عمدت السلطة إلى تفجير البيوت بألغام الديناميت على أثر وشایة أو تقرير من أي عميل يفيد أن أحد المعارضين زار البيت أو تردد عليه، ويتم التفجير بلا إنذار لإخلاء البيوت أو السكان المجاورين، بل يطلقون على الجيران النار رشاً لأنهم لم يبلغوا على وجود عناصر معارضة للسلطة، وفيما يلي نورد عدداً من أسماء البيوت التي فجرت قبل شهر شباط:

- تفجير بيت عبد الكريم قصاب في حي الشيخ عنبر.
- تفجير بيت لآل مريوما (مسلم الطماس) في حي الشيخ عنبر.
- تفجير بيت نزار عمرين في حي العليليات.
- تفجير بيت أحد قنفود في حي الفراية.
- تفجير بيت حمدو الخرسة في حي السخانة.
- تفجير بيت الشيخ أحمد بوظان في حي العليليات.
- تفجير بيت هاني الشققي في حي البашورة.
- تفجير بيت بشر الشققي في حي الباشورة.
- تفجير بيت هاني علواني في حي العليليات.
- تفجير بيت الشيخ نافع علواني في حي (شارع الشيخ علوان).
- تفجير بيت عبد الرزاق خطاب البارودي في بساتين حي البارودية.
- قصف بيتين آخرين في حي الصابونة.
- تفجير بيت لآل دبش في حي العليليات.
- تفجير بيت الحاج عبد الحمد حواضرية في حي العليليات.
- تفجير بيت نعسان عرواني في حي البارودية ومع تهديم بيت لآل علواني تهدمت أربعة بيوت لآل العلواني والصمصام والغرابيلي والنجار وثلاثة بيوت أخرى تضررت أيضاً، كما أصيبت زاوية الشيخ علوان (التي تضم ضريحه) وتهدم جدار منها. هذه أمثلة لما اقترفته السلطة من جرائم أو تفجير بيوت، قبيل المجازرة الكبرى أما ما فجرته من بيوت قبل ذلك في

حماة، فيوجزه كلمة للشهيد الدكتور عمر الشيشكلي (نقيب أطباء العيون في سوريا): دعوا الزوار الذين يزورون خرائب القنيطرة، أن يزوروا خرائب حماة فهي الأولى، والجدير بالذكر أن الدكتور عمر الشيشكلي أحد ضحايا الدفعة الأولى في حماة (في نيسان: أبريل 1980 م) على أيدي (الوحدات الخاصة)، حين قامت هذه الوحدات بتمشيط المدينة كلها. ونكلت بعدد من وجهائها منهم - الدكتور عمر الشيشكلي 45 عاماً رئيس جمعية أطباء العيون في سوريا - قلعت عيناه وألقيت جثته في حقل قرية مجاورة للمدينة - خضر الشيشكلي (80 عاماً) أحد زعماء (الكتلة الوطنية) وصاحب (بيت الأمة) أيام العمل ضد الاستعمار الفرنسي. حرقوه بصب الأسيد عليه في بيته. ثم نهبو ما فيه من تحف أثرية.

- الدكتور عبد القادر قنطوجي طبيب جراحة عظمية. ألقوا جثته بعد التعذيب، على طريق الشيخ غضبان على بعد /30/ كم عن المدينة، المزارع أحمد قصاب باشي 55 عاماً قلعوا أظافره وقطعوا أصابعه قبل أن يقتلوه، استعدادات السلطة لأحداث شباط (فبراير) يعتبر اليوم الأول من أحداث حماة من أهم الأيام، إن لم يكن أهمها، لأنه ينطوي على ملامح المؤامرة التي خططت لها السلطة، بما جهزت له مسبقاً من قوات، وبما أعدت قبله من إدارة للعمليات، حتى باشر قيادتها رفعت أسد بنفسه، حاكماً بأمره مطلقاً. فمنذ اليوم الأول كان في مدينة حماة وحولها حشود مسلحة نجملها بما يلي:

سرايا الدفاع: تتمركز في (مدرسة الإعداد الحزبي) و(نقابة المعلمين) و(معهد الثقافة الشعبية) و(الملعب البلدي) وحدائق بجانب (القلعة) وأمام (مخفر الجراجمة) ويقدر عددها بـ 1500 عنصر مسلح بأحدث الأسلحة الفتاكة.

الوحدات الخاصة: تعسكر في منطقة (سد محربة) المجاورة للمدينة، وهي مشاة محمولة بطائرات الهيلوكبتر، لديها أسلحة مضادة للدروع ورشاشات متوسطة وثقيلة. ويقدر عددها بـ 1500 ضابط وصف ضابط وجندى، **المخابرات العسكرية:** تتمركز في منطقة (الصابونة). لديها أكثر من عشرين مصفحة للمداهمات، ولا يقل عدد عناصرها عن 350/ عنصراً، **المخابرات العامة:** تتمركز في (حي الشريعة) وتتألف من 150/ عنصراً، الشعبة السياسية: تتمركز في حي (طريق حلب) وتضم أكثر من 200/ عنصر، الكتائب الحزبية المسلحة: تتتألف من 1200/ عنصر، بينهم 400/ عنصر تخرجوا في دورات المظلعين، وكثير منهم غريب عن المدينة، اللواء 47/ المدرع، يقوده العقيد الطائفي نديم عباس، يرابط في جبل (معرين) على بعد 7/ كم من حماة على طريق حمص، تابع مباشرة لقيادة العامة (الأركان)، يتتألف من ثلاثة كتائب من الدبابات، كل كتيبة تضم 31/ دبابة، بالإضافة إلى تسع دبابات للاستطلاع، وأربع دبابات لقيادة. وأنواع دباباتها (ت 62)، ويضم هذا اللواء أيضاً كتيبة مشاة مدعومة بـ 31 ناقلة جنود مدرعة، وسرية مدفعية ميدان، وسرية مدفعية مضادة للطائرات، وآليات حاملة لصواريخ أرض جو حديثة، ومن الجدير بالذكر أن هذا اللواء جيء به من جبهة الجولان إلى حماة بعد حوادث الدستور المشهورة عام 1973 ليترbus بمدينة خضبى ثرى فلسطين والجولان بدماء ابنائهم، إدارة العمليات حتى اليوم الأول.

مرت إدارة العمليات القمعية في مدينة حماة قبل أحداث شباط بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: انتهت في بداية تشرين الأول 1981 م حين كانت القيادة الأمنية تتتألف من خمسة مسؤولين هم: أمين فرع الحزب في حماة (أحمد الأسعد) محافظ حماة (محمد خالد حرية) رئيس فرع المخابرات العسكرية (العقيد الطائفي يحيى زيدان) رئيس مخابرات أمن الدولة (راغب حمدون) رئيس الشعبة السياسية (المقدم وليد أبااظة) وكان صاحب القرار فيهم وموضع الثقة والثقة، يحيى زيدان: رئيس المخابرات العسكرية الطائفي.

المرحلة الثانية: تبدأ مع بداية تشرين الأول 1981 م حين انتدب المقدم مصطفى أيوب وهو من متاؤلة جنوب لبنان بنت جبيل، هاجر أهله إلى منطقة درعا ثم تخرج على يدي العميد الطائفي محمد الخولي، ورأس مخابرات أمن الدولة في حماة بدلاً من الرائد راغب حمدون، لأنه حموي، فاستطاع مصطفى أيوب الدمج والتنسيق بين فروع المخابرات العامة في كل من حمص وحماة وأصبح مجموع العناصر التابعة له 600 عنصر، كما استعان بالكتائب الحزبية المسلحة.

المرحلة الثالثة: تبدأ في 7/12/1981م بتفويض المقدم الطائفي علي ديب قائد سرايا الدفاع في حماة مطلقاً بالمدينة فاحتل في منطقة السوق ما يزيد عن عشرين موقعاً من مبانيها ومؤسساتها، وما يزيد عن عشرة مواقع في منطقة الحاضر، وعزز تلك الموقع بإقامة حواجز ثابتة أمامها، فضلاً عن الدوريات المكثفة في كل مكان، لكن سرايا الدفاع انسحب من كل هذه المواقع في أواخر كانون الثاني 1982 وتجمعت في مراكزها الرئيسية التي أشرنا إليها آنفأ تمهيداً للقيام بدورها في المخطط التآمري، لاجتياح مدينة حماة، رفعت أسد يدير عمليات المذبحه هذه الوقائع تؤكد صحة ما جاء في التقارير التي تسربت عن جتمعات (المجلس الأمني الأعلى) لنظام أسد في أيلول 1981م فقد أصدر ذلك المجلس أمراً إدارياً برقم 184 يقضي بتعيين اللواء رفعت أسد آمراً عرفياً لمناطق دمشق وحماة وحلب، وتسمية حماة منطقة عمليات أولى خاضعة لأوامر الحاكم العربي، وانتقال 12 ألف عنصر من سرايا الدفاع إلى حماة والإذن لعناصر السرايا هذه بالقتل العشوائي، ومضائقه أسر المطلوبين ليسلموا أبناءهم الملاحدين، كما رفع مرسوم جمهوري إلى (مجلس الشعب) يقضي بمصادرة أموال كل من ثبتت عليه تهمة الانتقام إلى الإخوان المسلمين أو الارتباط بهم أو تقديم أي عون أو مساعدة لواحد منهم، وفرض رفعت أسد وسراياه بعمل ما يراه مناسباً في تلك المناطق، دون العودة إلى المجلس الأمني لأخذ رأيه أو استشارته، وكان المقدم الطائفي علي ديب قائد سرايا الدفاع في حماة هو نائب رفعت أسد، يطلعه على سير العمل في المدينة أولاً بأول، حتى إذا ما تفجر الوضع العام في المدينة، بادر رفعت إلى حماة ليدير عمليات التدمير والتخريب بنفسه، ففي اليوم الأول للأحداث، التقطت مكالمات لاسلكية لرفعت وهو في حمص. أما في اليوم الثالث للأحداث، فقد أفاد جندي أسير من عناصر سرايا الدفاع، أن رفعت موجود في ثكنة المدينة المطلة على منطقة القلعة (الشرف)، وفي هذا اليوم انتقل رفعت إلى منطقة الملعب البلدي، وأشرف بنفسه على مذبح يوم الخميس الحزين، الخطة القتالية التي طبقها النظام على حماة إن الخطة القتالية التينفذتها سلطة أسد في شباط 1982م لم تكن جديدة كل الجدة، بل هي ثمرة تجارب وممارسات سابقة، طبقتها في مدينة حماة، وفي عدد من المدن السورية، فقد سبق لهذه السلطة أن حاصرت المدن الكبيرة (حلب وحمص وحماة) ومشطتها حياً حياً، كما سبق لها أن ارتكبت مجازر جماعية في العديد من الأماكن: (في حي المشارقة وهي بستان القصر وهي سوق الأحد بحلب، وفي حي بستان السعادة بحماة، وفي حي السوق بجسر الشغور، ومجازرة سجن تدمر التي تناولت كل المعتقلين فيه) كما سبق للسلطة أن استخدمت أسلوب الاستفراد: أي أن تنفرد بكل محافظة، أو مدينة على حدة بالبطش، وعدم مواجهة كل تلك المدن مجتمعة، أما أهم تطور في أحاديث شباط 1982م فهو أن نظام أسد قرر استباحة مدينة حماة بأسرها، وهذه سابقة لا مثيل لها نوعاً وكما، إذ لم توفر الأبراء ولا العناصر الحزبية المنتشرة بين المواطنين، كما سرى، إن الخطة التينفذها نظام أسد في تدمير حماة، يمكن تسميتها بـ(الoward الجماعي) فقد حوصلت المدينة من كل الجهات، ثم قصفت بالمدفعية الثقيلة قصفاً عشوائياً، تمهيداً لاقتحامها بالدبابات والآليات، في الوقت الذي تخوض فيه عناصر سرايا الدفاع والوحدات الخاصة حرب الشوارع ضد المواطنين العزل، يرافق ذلك كله تعنيم إعلامي شديد في الداخل والخارج، ليدفع قوى المعارضة إلى ما يشبه اليأس ويضلل الجيش النظامي، ويخفي الحقائق عن أبناء الشعب في بقية المحافظات وعن الرأي العام العربي وال العالمي.. إلى جانب اعتماد السلطة الباغية على البطش الشديد السريع العشوائي، ليكون الأداة الفعالة في تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية والنفسية في آن واحد، إن كل حمامات الدم التي أفرق النظام المدن السورية وريفيها فيها قبل استباحة حماة، قد ثبتت إخفاقها في تحقيق أهداف طاغية سوريا، بل إنها أعطت مردوداً عكسياً، فهل استطاع نظام أسد بهذه الكارثة المروعة تحقيق ما سعى إليه؟ إن الثورة السورية المباركة اليتيمة كانت الكفيلة بالجواب على هذا السؤال. وفي الختام لا يسعنا إلا أن ندعوا الله أن يخلصنا من حكم الطغاة وأن تنعم بلاد الشام بالأمن والأمان بعد أن تتخلص من نحس النصيريـن والأقليـات وكل من وقف مع الأسد .

من صفحة Abdulaziz Zalaf

المصادر: